

تناثر مجموعة من البيوت يزينها مسجد كبر يربض بشموخ وعزّة على رأس التل، تصدح النكברات من مئذنته كل يوم لتماً الوادي عظمة وخشوعاً، متنمياً أن يحظى بفرصة العيش فيها ولو لأيام قليلة بعيداً عن ضجة المدينة وصخب الحياة فيها. يتمتع أهلها بهوائهما العليل، وينعمون بخريانها الي لا تنتهي، لكثير من الخدمات التي يتمتع بها أهل المدينة، القمح والزيتون الذي من كل ما يتمتع به أهل المدن من طعام وشراب فالجراح كانت أعمق من ذلك بكثير.

هناك في بيت صغير من بيوها أظلمت الدنيا تمامًا، كانت أصواتهم المرعبة تقرب من البيت شيئاً يعلو ضجيجهم المخيف كلما اقتحموا بيته من بيوت الجران، وتوسّات من آباء وأمهات يطلبون الرحمة. ووقع خطواتهم قد صار أقوى وأكثروضوحًا واقتضم جنود يحملون الساح يبحثون لكن ماذا يريدون من سكان قرية حدودية نائية صغيرة دمروها من قبل وقتلوا الكثـر من أهلها؟ هل يريدون فعاً القضاء على من بقي فيها من أناس ضعفاء؟ لم يتركوا غرفة ولا زاوية إلا بحثوا فيها. ابحث تحت هذا السرير المتهالك ربما وجدنا تحته بعين خائفـن وكأنـه يرى الموت على شكل بـشر. كانت أوصـالـه ترـعدـ من شـدةـ الخـوفـ، ازـرقـتـ شـفـتـاهـ وـدـمعـتـ عـيـنـاهـ وـصـمـتـ لـسـانـهـ عنـ النـطقـ بـحـرـفـ وـاحـدـ -أـينـ بـقـيـةـ أـهـلـكـ ياـ ولـدـ؟ـ أـينـ وـالـدـاكـ وـإـخـوـتكـ؟ـ هـبـاـ تـكـلمـ،ـ كـعـصـفـورـ فـيـ قـفـصـ يـضـرـبـ بـجـنـاحـيهـ كـانـ يـتـمـيـ أنـ يـكـونـ هـذـاـ مجـرـدـ كـاـبـوـسـ سـيـصـحـوـ مـنـهـ وـيـرـكـضـ إـلـىـ حـضـنـ أـخـيـهـ كـمـاـ فـيـ كـلـ مـرـةـ لـيـهـدـ ئـ مـنـ روـعـهـ وـيـعـودـ لـيـنـامـ بـعـمقـ منـ جـدـيدـ.ـ كـانـ حـسـنـ يـرـاقـبـ المشـهـدـ مـنـ بـعـدـ بـرـعـبـ وـذـهـولـ،ـ كـانـتـ تـلـكـ الـكـسـرـاتـ وـجـبـةـ طـعـامـ لـكـنـهـ وـقـفـ متـفـرجـاـ علىـ مشـهـدـ اـخـطـافـ أـخـيـهـ وـالـعـجـزـ يـكـبـلـ كـلـاـ يـدـيـهـ،ـ مـاـ هـوـ الـحـلـ؟ـ هـلـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـخـيـلـ حـيـاتـهـ دونـ أـنـسـ؟ـ هـلـ يـمـكـنـ أـنـ